﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النِّساء: 149]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

"لَمَّا كانت معاقد الخيرات على كثرتها منحصرة في قسمين: إيصال النَّفع إبداء وإخفاء، ودفع الضَّرر، فكان قد أشار ﷺ إلى العفو، وختم بصفتي السَّمع والعلم؛ قال مصرِّحًا بالنَّدب إلى العفو والإحسان، فكان نادبًا إليه مرَّتين: الأولى: بطريق الإشارة لأولي البصارة، والثَّانية: بطريق العبارة للرَّاغبين في التِّجارة"[1]، أي: بعدَ أنْ نَهَى عنِ الجَهرِ بقولِ السُّوء، ورخَّصَ للمظلومِ أنْ يجهرَ رادًّا ظُلامَتَه؛ ندَبَ هنا المُرَخَّصَ لهم إلى العَفْوِ وقولِ الخَيْر[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُبۡدُواْ﴾: بَدَا الشَّيءُ بُدُوًّا وبَدَاءً، أي: ظهَرَ بيِّنًا، قالَ تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الزُّمر: 48]، وكما في الآيةِ الَّتي معنا: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾ أي: تُظهِروه[3].

2) ﴿تَعۡفُواْ﴾: العَفْوُ: القَصْدُ لِتناوُلِ الشَّيء، يُقالُ: عَفَاهُ واعْتفاه، أي: قَصدَه مُتناولًا ما عندَه، وعَفَوْتُ عنه: قَصَدتُ إزالةَ ذَنْبِه صارفًا عنه، فالعَفْوُ: هو التَّجافي عنِ الذَّنْب[4]، كما في الآيةِ الَّتي معنا: ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ﴾.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُوجِّهُ اللّه تعالى عبادَه، ويُربِّيهم على خُلُقِ التَّسامحِ قائلًا لهم: إنْ تُظهروا خيرًا، أو أَخْفيتُموهُ، أو عفوتُم عمَّن أساءَ إليكم؛ فإنَّ ذلكَ ممَّا يُقرِّبُكم عندَ اللّه، ويُجزِلُ ثوابَكم لدَيْه، فإنَّ من صفاتِه ﷻ: أن يَعفُوَ عن عبادِه مع قُدرتِه على عقابِهم[5]، فالآية الكريمة

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 5/448.
(2) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنوير: 6/7.
(3) الرَّاغب، المفردات، ص: 113.
(4) الرَّاغب، المفردات، ص: 574.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/509.

ترشدُ إلى أنَّ "معاقد الخير على كثرتها محصورة في أمرين: صِدْقٍ مع الحَقِّ، وخُلُقٍ مع الخَلْقِ، والَّذي يتعلَّق مع الخَلْقِ محصورٌ في قسمين: إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ إشارة إلى إيصال النَّفع إليهم، وقوله: ﴿أَوْ تَعْفُواْ﴾ إشارةٌ إلى دفع الضَّرر عنهم، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البِرِّ"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة التَّرقِّي في الخِطاب:

إظهارُ الإحسان لمن ظلمَ أعلى من إخفائه، والعفو عنه

في الآية الكريمة ترقٍّ في الخطاب بخصوص معاملة الظَّالم الَّذي يكون إبداءُ الخير إليه، وإظهارهُ أعلى من إخفائه، ثم إخفاؤه أعلى من العفو عن السُّوء، فالإحسان العامُّ في الظَّاهر لمن ظلمك أعلى، ثم الإحسان إليه في السِّرِّ، ثم العفو عن الظُّلم الَّذي هو أنبلُ الخير[2]، فحثَّ ﷻ على الأحبِّ إليه، والأفضل عنده، والأدخل في باب الكرم: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾، أي: من قول أو غيره، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾، أي: تفعلوه خفية ابتداء، أو في مقابلة سوء فعل إليكم؛ ولمَّا ذكر فعل الخير أتبعه نوعًا منه هو أفضله، فقال: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ أي: فعل بكم[3].

دلالة العطفِ وتكراره:

أفادَ العطفُ التَّرغيبَ في إظهارِ الخيرِ وإخفائه على سواء

عطفَ بيانُ اللّه: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ على: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾؛ لزيادةِ التَّرغيبِ حتَّى لا يَظنَّ العبادُ أنَّ الثَّوابَ على إبْداءِ الخيرِ خاصَّة، كقولِه تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271][4]، فالضَّميرُ المنصوبُ في ﴿تُخْفُوهُ﴾

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/254.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/67.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 5/448.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 8/7.

عائدٌ على ﴿خَيْرًا﴾، والمرادُ به أعمالُ البرِّ كلُّها، ويمكنُ أنْ يعودَ ضميرُ ﴿تُخْفُوهُ﴾ على ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾، أي: أو تُخْفوا السُّوء، ولكنَّ هذا العَوْدَ بعيد[1].

دلَّ عطفُ العَفْوِ عن السُّوءِ على ما قبلَه على بيانِ منزلة العفو العالية

عطفَ بيانُ اللّه قولَه تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ على إبداءِ الخير وإخفائِه اعْتدادًا به وتنبيهًا على مَنْزلتِه، وأنَّ له مكانًا في بابِ الخيرِ وسيطًا، والدَّليلُ على أنَّ العفْوَ هو الغرضُ المقصودُ بذكرِ إبداءِ الخيرِ وإخفائِه قولُه تعالى في ذَيْلِ الآية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: يعفو عن الجانينَ مع قُدرتِه على الانْتقام، فعليكُم أنْ تقتدوا بسُنَّةِ اللّه العَفُوِّ القدير[2].

وجه المغايرة في عطف (العفو):

ما زادَ عبدٌ بعفوٍ إلَّا عِزًّا

غاير في حرف العطف(الواو)، فعطف (العفو) بـ (أو) مع دخوله في الخير بقسميه: الإظهار والخفاء؛ للاعتداد به، والإعلاء من شأنه، والتَّنبيه على منزلته، والحثِّ عليه بوصفه من الخير بمكان مرتفع[3].

التَّعبير عن الفاصلة بجملة جوابِ الشَّرط:

الاتِّصافُ بصفةِ العفو تخلُّقٌ بكمالات صفة الباري

إيرادُ قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ في مَعْرِضِ جوابِ الشَّرطِ؛ يدلُّ على أنَّ العُمدةَ هو العفوُ معَ القُدرة، أي: كانَ مبالِغًا في العَفْوِ معَ كمالِ قُدرتِه على الانْتقام، فالعفوُ تخلُّقٌ بالكمال؛ لأنَّه من صفاتِ اللّه، وصفاتُ اللّه غايةُ الكمالات[4]، ويمكنُ أنْ تكونَ جملةُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ دليلَ جوابِ الشَّرط، وهو عِلَّةٌ له، وتقديرُ الجواب: يعفو عنكم عندَ القُدرةِ عليكم، كما أنَّكم فعلتُمُ الخيرَ

(1) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 4/138.
(2) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/576.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 3/387.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 1/804.

جَهرًا وخُفيةً، وعَفَوتُم عندَ المقدرةِ على الأخذِ بحقِّكم؛ لأنَّ المأذونَ فيه شرعًا يُعَدُّ مقدورًا للمأذون[1].

سرُّ الختام بصفتي العفو والقدرة:

الإنسان قرين الذَّنب لضعفه؛ فهو أولى بأن يتخلَّق بالعفو

لمَّا كان تركُ العِقاب لا يُسمَّى عفوًا إلَّا إذا كان من قادرٍ؛ قال تعالى مذكِّرًا العبادَ بذنوبهم إليه وقدرته عليهم: ﴿قَدِيرًا﴾، أي: بالغ العفو عن كلِّ ما يريد العفو عنه من أفعال، والقدرة على كلِّ ما يريد، ومَنْ يريد، فالَّذي لا ينفكُّ عن ذنبٍ وعجزٍ أولى بالعفو طمعًا في عفو القادر عنه، وخوفًا من انتقامه منه، وتخلُّقًا بخلقه العظيم، والاقتداء بسنَّته[2]، وصيغةُ المبالغة من القُدْرة، وهي كلمة (قدير) هي الَّتي تدلُّ على إجزال المثوبة، وعلى التَّرغيب في العفو[3].

بيان المتشابه اللَّفظي:

اختيارُ كلِّ لفظ يناسب السِّياق والمعنى

قال تعالى هنا: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾، وفي الأحزاب: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ [الأحزاب: 54]، وذلك أنَّ آية النِّساء وردتْ بعد قوله تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، فذكر أنَّ الله لا يحبُّ الجهر بالسُّوء، ولذا قال بعدها: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ [النِّساء: 149] أي: إن تُظهروا خيرًا، هو عكس الجهر بالسُّوء، فالله سبحانه لا يُحبُّ السُّوء ولا الجَهْر به بخلاف الجَهْر بالخير.

وأمَّا في آية الأحزاب؛ فالسِّياق يتعلَّق بعلم الله بالأشياء الخافية والظَّاهرة، فقد قال قبلها: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: 51]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب: 52]، وختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب: 54]، ومعنى الآية: إنَّه يستوي عنده السِّرُّ والجهر، فناسبَ أن يقول: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب: 54]، لا أن يقول: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ [النِّساء: 149].

(1) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنوير: 6/7.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 5/449.
(3) رضا، تفسير المنار: 6/6.

فضلًا عن ذلك؛ فإنَّ لفظة (شيء) ناسبت ما وقع قبلها وبعدها، فوضع كلَّ لفظة في مكانها المناسب لها، ويزادُ على ذلك أنَّ الجوَّ التَّعبيريَّ لكلِّ سورة في هاتين السُّورتين يقتضي وضعَ كلِّ لفظة من هاتين اللَّفظتين في موضعها، ذلك أنَّ كلمة (خير) تردَّدتْ في سورة النِّساء اثنتي عشرة مرَّة، ولم ترد في سورة الأحزاب إلَّا مرَّتين، وأنَّ كلمة (شيء) تردَّدتْ في سورة النِّساء اثنتي عشرة مرة، وتردَّدت في سورة الأحزاب ستَّ مرَّات، فإذا كان الكلام يقتضي اختيار إحدى هاتين اللَّفظتين لكلِّ آية؛ فمن الواضح أنْ تختار كلمة (خير) لآية النِّساء، وكلمة (شيء) لآية الأحزاب، فاقتضى التَّعبير اختيار كلِّ لفظة من جهتين: جهة المعنى والسِّياق، وجهة اللَّفظ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البُدُوّ والظُّهور:

الظُّهورُ: يكونُ بقصدٍ وبغيرِ قصد، تقولُ: اسْتَتَرَ فُلان، ثمَّ ظَهَر، ويدلُّ هذا على قصدِه للظُّهور، ويُقالُ: ظهرَ أمرُ فُلان، وإن لم يقصدْ لذلك، فأمَّا قولُه تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الرُّوم: 41]، فمعنَى ذلكَ: الحدوث، وكذلكَ قولُك: ظهرتْ في وجهِه حُمرة، أي: حدثتْ، ولم يَعْنِ أنَّها كانتْ فيه، فظهرتْ[1].

والبُدُوُّ: هو الظُّهورُ البيِّن[2]، أي: الَّذي لا يَعْتَريه أيُّ خَفاء، فهو كالشَّمسِ عندَ إشراقِها، ويُضافُ إليه أنَّه يكونُ بغيرِ قصد، فعندما تقولُ: بدا البرقُ، وبدا الصُّبحُ وبدا لي في الشَّيء؛ لأنَّكَ لم تَقصِدْ للبدوِّ[3]، ولمَّا كان الحديث عن شأن ظاهرٍ، ومخفيٍّ؛ فالبُدُوُّ أنسبُ له؛ لكونه ظهورًا بيِّنًا، مبالغًا فيه.

التَّدرُّجُ في التَّغاضي من الحَسَنِ إلى الأَحْسنِ حكمةٌ جليلةٌ لتعامُلِ العبادِ فيما بينَهم

العَفْو والصَّفح:

العَفْوُ: تركُ عقوبةِ المُذْنِب، والصَّفحُ: تركُ لومِه، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾ [البقرة: 109] ترقِّيًا في الأمرِ بمكارمِ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 344.
(2) الرَّاغب، المفردات، ص: 113.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 344.

الأخلاقِ من الحَسَنِ إلى الأَحْسن، ومن الفَضْلِ إلى الأفْضَل، والصَّفحُ باعتبارِه تركُ اللَّومِ والتَّثريب، فهو أَبْلَغُ من العَفْوِ، وقد يَعفُو الإنسانُ، ولا يَصْفَح[1].

والبيانُ الإلهيُّ يُحفِّزُ العبادَ على العَفْوِ عن السُّوء، كما قالَ تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾، وذلكَ بتركِ العقوبةِ فيما بينَهم بعدَ التَّجافي عن الذَّنبِ القائم، فإذا حصلَ ذلكَ الأدْنَى؛ فحَسَن، ليُرجَى بعد ذلكَ الأَعْلى بالصَّفحِ، وهو الأَحْسن.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 362، والكفوي، الكليّات: 3/120، 183، 240.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»